

الا عوداً إلى الصواب !

بِقلم ميشال شيحا

قام الأستاذ ميشال شيحا، منذ أيام، بحملة في الزميلة "الليجور" ، في سبيل تركيز لبنان على قواعد اجتماعية واقتصادية يراها الاستاذ شيحا أصحّ القواعد وأفضلها لبلد كبلنا ذي الطابع الخاص والمميزات الخاصة.

ومما كتبه، في هذا الصدد، المقال الذي نعرّبه، في ما يلي ، تاركين باب النقاش مفتوحاً أمام من يود الدخول فيأخذ ورد. قال الأستاذ شيحا :

لولا الفوائد التي تأتي بلادنا من الخارج، مباشرة أو غير مباشرة، لكان لبنان أفقـر بلدـان العالم العربيـ، عوضـاً عنـ أنـ يكونـ أحسنـ تلكـ البلدـانـ تقسيـماًـ كماـ هوـ أمرـهـ الـيـومـ.

إن مستوى المعيشة في لبنان أرفع منه في أي بلد عربي آخر. وهذا ما يجب تكراره دائماً. وليس مردّ هذه الميزة إلى منتجات أرضنا وما تحت أرضنا. وإنما مردّها إلى ذكاء اللبنانيين وأهليتهم للتحرك في العالم الاقتصادي الدولي. إن هذا هو ما يسمح بأن يكون لهم مستوى المعيشة ذاك، ولو لا هـ لـ كـانـواـ يـمـوتـونـ.

إن الأوهام الاقتصادية التي تطالعنا أباًها صباح كل يوم تجد الواقع والمنطق الجديد ضدـها غالـباًـ. إنـاـ إـزـاءـ أفـكارـ وـمـشـارـيعـ عـقـيمـةـ،ـ وـهـذـاـ مـاـ يـجـبـ أـيـضاـ.

ولئن هددت الفوائد والثروات التي تأتينا من الخارج بشكل فإنـهاـ لنـ تـأـتـيـ إـلـىـ إـلـيـناـ بلـ تـذـهـبـ إـلـىـ غيرـ بلـادـنـاـ.ـ وـعـنـدـنـ يـتـعـذـرـ الـكـلامـ عـلـىـ "ـتـوزـيعـهاـ بـعـدـالـةـ"ـ فـيـمـاـ بـيـنـنـاـ.

ليس من يحب رفاه الشعب أكثر منـاـ،ـ وـلـأـحـدـ يـتـمـسـكـ بـالـإـنـصـافـ أـكـثـرـ مـنـاـ.ـ وـلـكـ إـذـاـ أـزـعـجـ المـالـ الذـيـ يـرـدـ إـلـيـناـ منـ الـخـارـجـ -ـ أـرـبـاحـاـ كـانـ أـوـ رـؤـوسـ أـموـالـ -ـ فـإـنـماـ يـخـسـرـ لـبـانـ بـأـجـمـعـهـ ذـلـكـ المـالـ.

من السخـفـ أـنـ نـدـعـيـ تـجهـيزـ الـبـلـادـ بـدـوـنـ مـالـ.ـ وـإـذـاـ كـانـ تـرـيـدـ مـالـ الغـيرـ فـمـنـ الـضـرـوريـ أـنـ تـحـولـ بـيـنـ الـذـينـ بـعـطـونـهـ أـوـ يـقـرـضـونـهـ وـقـلـقـهـمـ وـجزـعـهـمـ عـلـيـهـ.

يـجبـ أـنـ يـأـتـيـ الأـجـنبـيـ إـلـىـ لـبـانـ كـمـاـ يـذـهـبـ لـلـبـانـيـونـ إـلـىـ الـخـارـجـ،ـ وـأـنـ يـنـفـقـ وـيـظـفـ فـيـهـ رـؤـوسـ أـموـالـ.ـ وـلـيـنـ

فيـهـ بـكـلـ طـيـةـ خـاطـرـ بـيـتاـ يـأـوـيـ إـلـيـهـ.ـ بـيـدـ أـنـ الشـرـطـ الرـئـيـسيـ لـتـحـقـيقـ ذـلـكـ إـنـماـ هوـ إـشـاعـةـ الـأـمـنـ وـالـسـلـامـ.

أـولـئـكـ الـذـينـ يـسـودـونـ الصـفـحـاتـ مـعـتـقـدـينـ أـنـهـمـ يـهـبـونـ لـبـانـ السـعـادـ بـتـوزـيعـهـمـ آخـرـ شـجـيرـاتـ زـيـتونـ فـيـ يـخـطـئـونـ

ضـدـ الـفـهـمـ،ـ إـنـهـمـ يـنـظـمـونـ تـوزـيعـ الـشـقـاءـ لـاـ تـوزـيعـ الـرـخـاءـ.ـ إـنـهـمـ يـنـسـونـ أـنـ الـلـبـانـيـ يـمـثـلـ -ـ بـعـضـ التـحـدـيدـ -ـ نـشـاطـاـ

إـقـتـصـادـيـاـ لـيـسـ وـطـنـيـاـ فـحـسـبـ بـلـ دـولـيـاـ أـيـضاـ.ـ وـإـنـ ثـرـوـتـنـاـ لـيـسـتـ فـيـ أـرـضـ مـجـازـةـ وـمـكـرـرـةـ التـجـزـةـ إـلـىـ أـقـصـىـ

حـدـ مـسـطـاعـ بـلـ هـيـ فـيـ الـحـرـكـةـ،ـ إـنـ هـذـاـ لـأـسـاسـيـ.

لـئـنـ تـكـنـ الـعـقـارـاتـ فـيـ الـمـدـيـنـةـ وـالـقـرـيـةـ مـرـتـفـعـةـ السـعـرـ فـيـ لـبـانـ فـذـلـكـ يـرـجـعـ إـلـىـ كـثـافـةـ السـكـانـ وـتـوزـعـ الـمـلـكـيـةـ

جـهـةـ،ـ وـإـلـىـ مـسـاـهـمـةـ إـقـبـالـ الـأـجـانـبـ مـنـ جـهـةـ ثـانـيـةـ.

عندما يكون الجو رائقاً تتدفق موارد كثيرة على لبنان من مختلف البلدان العربية ومما هو أبعد من هذه البلدان، ولكن بعض بوادر عجز السلطات وبعض الخطب غير المعقولة كافية لتحويل المجرى.

ومنذ بدأ بعض اللبنانيين يقومون بتملق الجماهير تملقاً غوغائياً أخذت رؤوس الأموال ترحل والأعمال لا تسير. والذين تسبيوا بعكس هذه الآية مذنبون جداً . وإن كانوا حسني النية فعليهم أن يكفروا عما بدر منهم، كما أن على السلطات العامة أن تحكم البلد بكمية أكبر من الجرأة والتعقل.

إن الخطوة الأولى هي التي تحسب في مجال التملق الجماهيري، فإذا ما تحدى المرء علينا القانون مرة واحدة يصبح أسير صلفه، ولا يقف "الغرغرينا" في الجسم الا" البتر القاسي.

للمرة الخمسين نردد : أن لبنان ليس كسائر بلدان العالم. ولو كان كسواه لما كان كبيراً جداً وصغيراً جداً في الوقت الواحد نفسه.

إن ثروة لبنان ليست أولاً في الزراعة المحلية والتجارة المحلية والصناعة المحلية، فإن هذه – متى أخذ كل منها على حدة – ليست سوى عوامل صغيرة في مقاييس العالم. فالثروة في لبنان يمثلها رجال حاذقون ، امتلأوا جرأة وخبرة، يحلون باستمرار ، مشاكل اقتصادية ومالية من طراز دولي.

لذلك نجد أن هذا الأدب المزعوم "اجتماعياً" ، والذي يقدم لنا منذ روح من الزمن، سلبي وعقيم إلى حدود الفجيعة.

فلنحترم تقاليدنا التي هي ثمرة التاريخ. ولنبق أحراجاً في حركاتنا. ولننظم في البدء – جهد طاقتنا – العون الطبي المعجم. إن هذا خير من التفلسف في الهواء.